*دعوى أن الصحابة كانوا يجوِّزون قراءة القرآن بالمعنى*

*بحث فى دفاع عن القراَن*

*إعداد أ/ مروة سيد محمد*

*قسم التفسير وعلوم القراَن*

*كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية*

*شاه علم – ماليزيا*

*marwa.sayed@mediu.edu.my*

**خلاصة ـــ هذا البحث يبحث في دعوى أن الصحابة كانوا يجوِّزون قراءة القرآن بالمعنى**

**الكلمات المفتاحية : الطاعنين ، الصحابة ، الدعوى**

1. **المقدمة**

 **الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، سوف نتحدث في هذا المقال عن دعوى أن الصحابة كانوا يجوِّزون قراءة القرآن بالمعنى**

1. **عنوان المقال**

**من دعاوى الطاعنين فيما يتعلق بباب الأحرف السبعة قولهم: بأن الصحابة كانوا يجوِّزون قراءة القرآن بالمعنى:**

**فقد ذكر أحد الطاعنين أثرًا: "عن ابن مسعود > أنه أقرأ رجلًا:** {ﭬ ﭭ ﭮ ﭯﭰ ﭱ}، **فقال الرجل: طعام اليتيم، فردها عليه؛ فلم يستقم بها لسانه؛ فقال ابن مسعود: أتستطيع أن تقول طعام الفاجر؟ قال: نعم: قال: فافعل". وقد عقّب أحد الطاعنين على هذه الرواية أو على هذا الأثر بقوله: وبذلك نعلم أن الصحابة كانوا يجوّزون قراءة القرآن بالمعنى.**

**كان هذا عرضًا موجزًا لكلام الطاعنين في هذه الدعوى، وفيما يلي أبين الجواب الكافي والرد الوافي على هذه الدعوى -فالله المستعان-:**

**لو كان الصحابة } يجيزون القراءة بالمعنى لما حصل بينهم شكّ أو تنازع عند سماعهم لقراءة بعضهم بعضًا؛ وكيف نظن بهم ذلك وهم } الذين ضربوا المثل الأعلى في الدفاع عن القرآن، وكانوا مستبسلين في المحافظة على التنزيل، متيقظين لكل من يحدِث فيه حدثًا، ولو كان عن طريق الأداء واختلاف اللهجات، وكانوا مبالغين في هذه اليقظة حتى إنهم ليَتَّهم بعضهم بعضًا في هذا الباب، وينافحون عن القرآن بكل عناية وهمة، ويكفينا دليلًا على ذلك ما فعله سيدنا عمر > بصاحبه هشام بن حكيم، على حين أن هشامًا كان في واقع الأمر على صواب فيما يقرأ، وقد قال لعمر -تسويغًا لقراءته-: "أقرأنيها رسول الله"؛ لكن عمر لم يقتنع بذلك؛ بل أخذه ولم يتركه حتى قضى رسول الله  لهشام بأنه مصيبٌ في تلاوته، وقل مثل ذلك فيما فعله أبي > بصاحبه، وما كان من ابن مسعود وعمرو بن العاص مع صاحبيهما.**

**إن الروايات التي يٌفهم منها تخيير الشخص بأن يأتي من عند نفسه باللفظ وما يرادفه، أو باللفظ وما لا يضاده في المعنى؛ كحديث أبي بن كعب >: "كلها شافٍ كافٍ ما لم تختم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب"، وما جاء: عن ابن مسعود > أنه أقرأ رجلًا:** {ﭬ ﭭ ﭮ ﭯﭰ ﭱ} **فقال الرجل: طعام اليتيم، فردها عليه فلم يستقم بها لسانه؛ فقال ابن مسعود: أتستطيع أن تقول: طعام الفاجر؟ قال: نعم، قال: فافعل.**

**نقول: هذه الروايات التي اعتمدت عليها هذه الدعوى يرد عليها بما يلي:**

**أولًا: هذه الروايات وأمثالها مهما بلغت من جودة الإسناد -كما قال الإمام السيوطي رحمه الله- فهي مردودة لمخالفتها لما جاء به القرآن، ومردودة لمخالفتها لما أجمع عليه العلماء؛ لأنه يؤدي إلى ذهاب بعض الإعجاز، فإن من إعجاز القرآن هذا التناسب والترابط بين الآية وخاتمتها، فلو جاز إبدال خاتمة بأخرى لعادَ بالخلل على الإعجاز القرآني.**

**قال القاضي عياض -رحمه الله- نقلًا عن الإمام المازني: وقول من قال: يجعل مكان "غفور رحيم": "سميع بصير"؛ فاسد أيضًا؛ للإجماع على منع تغيير القرآن للناس؛ فهذا النظم الكريم الذي جاء في المصاحف قد أجمع عليه العلماء وثبت بالتواتر المفيد للقطع واليقين؛ فلا تعارضه روايات أحادية مهما بلغت أسانيدها من الصحة أو من الحسن والجودة؛ لأن الأحادي لا يعارض المتواتر ولا يقوى على مناهضته.**

**ثانيًا: على فرض التسليم بثبوت هذه الروايات وما يماثلها؛ فقد تأول العلماء هذه الأحاديث على غير ظاهرها؛ وذلك لوجود الصارف لها، وهو ما تقدم من حصول الإجماع على عدم جواز ذلك؛ فلا نسلّم أنه يُفهم من هذه الروايات تخيير الشخص أن يأتي من تلقاء نفسه باللفظ وما يرادفه، أو باللفظ وما لا يضاده في المعنى؛ بل قصارى ما تدل عليه هذه الروايات: أن الله تعالى وسّع على عباده -خصوصًا في مبدأ عهدهم بالوحي- أن يقرءوا القرآن بما تلين به ألسنتهم، وكان من جملة هذه التوسعة القراءة بمترادفات من اللفظ الواحد للمعنى الواحد، بشرط أن يكون الجميع مما سمعوه من رسول الله ومما نزل به الوحي، ومما نزل به الروح الأمين على قلب سيدنا محمد  وقرأه الرسول على الناس وسمعوه منه، ثم نسخ الله ما شاء أن ينسخ بعد ذلك، وأبقى ما أبقى.**

**ومما يدل على أن الجميع نازل من عند الله تعالى: قول النبي  لكلٍّ من المتنازعين المختلفين في القراءة من أصحابه: ((هكذا أنزلت))، وقول كلٍّ من المختلفيْن لصاحبه: "أقرأنيها رسول الله"، وقول الله تعالى لرسوله جوابًا لمن سأله تبديل القرآن:** {ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ} **[يونس: 15، 16]، وليس بعد كلام الله ورسوله كلام.**

**نضيف إلى ذلك: أن الأمة قد أجمعت على: أنه لا مدخل لبشر في نظم القرآن لا من ناحية أسلوبه، ولا من ناحية ألفاظه، ولا من ناحية أدائه؛ فها نحن قد رأينا القرآن في الآية السابقة يمنع الرسول من محاولة التبديل أو التغيير منعًا باتًّا مشفوعًا بالوعيد مصحوبًا بالعقاب الأليم؛ فهل يُعقل أن يصدر من ابن مسعود أو غيره بعد كل هذا تبديلٌ أو تغيير لفظ من ألفاظ القرآن بلفظ من تلقاء نفسه؟!**

**أما هذه الرواية المنسوبة إلى ابن مسعود > من أنه أقرأ الرجل بكلمة: "الفاجر" بدلًا من كلمة:** {ﭱ} **في قوله تعالى:** {ﭬ ﭭ ﭮ ﭯﭰ ﭱ} **فغاية ما تدل عليه: هو أن ابن مسعود > سمع روايتين من رسول الله  ولما رأى الرجل قد تعسّر وتعذر عليه النطق بالأولى أشار عليه أن يقرأ بالثانية، وكلاهما منزّل من عند الله.**

**وكذلك حديث أبي بن كعب السابق، لا يدل على جواز تبديل الشخص ما شاء من القرآن بما لا يضاده -كما زعم الطاعنون! إنما ذلك الحديث وأشباهه من باب الأمثال التي يضربها الرسول  للأحرف التي نزل عليها القرآن؛ ليفيد أن تلك الأحرف -على اختلافها- ما هي إلا ألفاظٌ متوافقة مفاهيمها ومعانيها، لا تخاذل بينها ولا تضاد ولا تناقض، وليس فيها معنًى يخالف معنى آخر ويناقضه؛ كالرحمة التي هي ضد العذاب، وفهم هذه الروايات بهذه الصورة تقريرٌ لكون جميع الحروف نازلة من عند الله تعالى؛ قال تعالى:** { ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ} **[النساء: 82].**

**ومما ينبغي أن يُعلم أن مخالفة المروي للقرآن، أو لما اشتهر من السنة، أو لإجماع العلماء هو مما يقلل الثقة بتلك الروايات، ويجعلها في عداد الروايات الواهية التي لا يُحتج بها، والقاعدة العامة في هذا الأمر: أن للعلماء في توجيه هذه الروايات على فرض التسليم بثبوتها وصحتها مسلكين:**

**المسلك الأول: إن هذه الروايات أو مفهوم هذه الروايات: كانت أحرفًا يقرأ بها وكانت منزلة من عند الله تعالى للتوسعة على العرب في أول الأمر، ثم نُسخت فيما نسخ في العرضة الأخيرة التي عرضها جبريل # على النبي ، ولم يعلم القارئ بها أنها نسخت، وعلى هذا يكون ابن مسعود على سبيل المثال قد سمع القراءتين عن النبي ، فلما تعذر على الرجل القراءة بإحداهما أقرأه بالقراءة الأخرى.**

**المسلك الثاني: أن نقول إن ما جاء في هذه الروايات ما هو إلا تفسيرٌ وتوضيح للفظ القرآن؛ فابن مسعود مثلًا لم يرد إقراء الرجل لفظ القرآن؛ وإنما أراد توضيح المعنى له؛ كي يكون ذلك وسيلة إلى النطق بالصواب فيما بعد، وقد ذكر الإمام القرطبي -رحمه الله- في تفسيره مقوله للإمام أبي بكر الأنباري -رحمه الله- في هذا الصدد حيث قال: ولا حجة في هذا للجُهال -يشير بذلك إلى هذه الروايات وأمثالها- من أهل الزيغ؛ أنه يجوز إبدال الحرف من القرآن بغيره؛ لأن ذلك إنما كان من عبد الله بن مسعود > تقريبًا للمتعلم، وتوطئة له؛ للرجوع إلى الصواب واستعمال الحق والتكلم بالحرف على إنزال الله وحكاية رسول الله .**

**وفي النهاية نقول: إذا كان الطاعنون يريدون أن يلمزوا الصحابة } ويريدون أن يلمزوا القرآن بالتحريف والزيادة والنقصان والتغيير والتبديل؛ فالأولى لهم أن يلمزوا أنفسهم، والأولى لهم أن يواروا سوأتهم؛ لأن المسلمين كانوا -ولا يزالون- أكرم على أنفسهم من أن يقولوا في كتاب الله بغير علم، والمسلمون كانوا -ولا يزالون- أكرم على أنفسهم من أن يقولوا في كتاب الله بالهوى والتشهي، أو أن ينسبوا إلى الله ما لم تقم عليه حجةٌ قاطعة، أو أن يسلكوا بالقرآن مسلكَ الكتب المحرفة والأناجيل المبدّلة، وإننا نذكِّر هؤلاء الطاعنين بتلك الحكمة التي تقول: "من كان بيته من زجاج فلا يقذفن الناس بالحجارة".**

**هذا البيان يزيد كل عاقل ومنصف اطمئنانًا ويقينًا بأن الإجازة في أحرف القرآن وقراءاته إنما كانت في حدود المسموع المتلقى عن رسول الله  عن جبريل عن رب العزة  هذا هو إجماع العلماء المحققين، والحمد الله رب العالمين.**

**المصادر والمراجع**

1. **السيوطي، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (الإتقان في علوم القرآن) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984م**
2. **الزركشي، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (البرهان في علوم القرآن) ، بيروت، نشر دار المعرفة، 2001م**
3. **الدجوي، يوسف أحمد نصر الدجوي، (الجواب المنيف في الرد على مدعي التحريف) ، القاهرة، مطبعة القاهرة، 1969م**
4. **الجزيري، محمد شوقي عبد الرحمن الجزيري، (أدلة اليقين في الرد على مطاعن المبشرين والملحدين) ،دار الإرشاد للطباعة والنشر، 1416هـ**
5. **أبي داود، ابن أبي داود، تحقيق: محب الدين واعظ، (المصاحف) ، دار البشائر الإسلامية، 2002م**
6. **الباقلاني، القاضي أبي بكر محمد الباقلاني، (نكت الانتصار لنقل القرآن) ، الإسكندرية، منشأة المعارف، 1971م**
7. **الزرقاني، محمد عبد العظيم الزرقاني، (مناهل العرفان في علوم القرآن) ، بيروت، دار الفكر، 1996م**
8. **أبو شهبة، محمد بن محمد أبو شهبة، (المدخل لدراسة القرآن الكريم) ، الرياض، نشر دار اللواء، 1987م**
9. **بن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم، (الفصل في الملل والأهواء والنحل) ، بيروت، دار الجيل،1405هـ**
10. **أبو زهرة، محمد أبو زهرة، (المعجزة الكبرى القرآن) ، دار طيب للنشر، 2003م**
11. **مزروعة، حاتم محمد منصور مزروعة، (دعاوى تحريف القرآن الكريم) ، طبعة جامعة الأزهر، 2007م**
12. **الباقلاني، أبو بكر بن الطيب الباقلاني، تحقيق: عماد الدين حيدر، (إعجاز القرآن) ، مؤسسة الكتب الثقافية، 1991م**